يسوع الفريد

"حلقه حلاوة وكله مشتهيات"

(نشيد الأنشاد 5: 16)

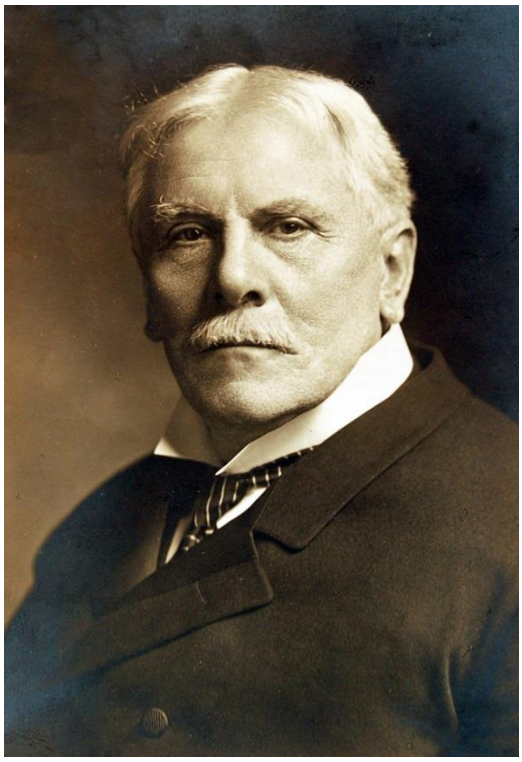

Cyrus Ingerson Scofield (August 19, 1843 – July 24, 1921)

لعلامة الكتاب المقدس الدكتور اسكوفيلد

اسكوفيلد (١٨٤٣ - ١٩٢١)

هو كورش انجرسون اسكوفيلد ، ولد في 19 أغسطس سنة ١٨٤٣، ورقد في الرب يوم 24 يوليو ١٩٢١ . تربى في ولاية تنسي ، وخدم في الجيش في فرجينيا الشمالية تحت قيادة الجنرال « لي ، حيث نال وسام صليب الشرف . ثم صار من رجال القانون الأعلام ، ونال مقعدا في مجلس الأمة . و تنقل بعدئذ في عدة كنائس حيث كان راعيا فيها ، ومنها كنيسة (مودى) وغيرها ، وكرس أواخر حياته للبحث والدرس العميق في الكتاب المقدس حيث أخرج النسخة المشهورة باسمه وهى تضم بحراً زاخراً من التفاسير والشواهد القيمة . وله كتب أخرى تبحث في النبوات وتفسير رسالة غلاطية.

كل عظمة دون هذه العظمة يشوبها شيء من المهانة ، وكل حكمة أخرى تداخلها الجهالة ، وكل صلاح عداه يعتريه النقص ، أما يسوع و حده فيظل شخصا فريدا لا مثيل له بين الناس ولا نظير له

بين أقدس القديسين . وهو الوحيد الذي يوصف بهذا الوصف : (حلقه حلاوة و كله مشهيات)، وهذه العظمة في سجاياه تتضمن كماله في ناسوته ، فهو في كل شيء مثلنا ما عدا الخطية والطبيعة الأثيمة . كان ينمو في النعمة والقامة ، واختبر التعب والكد. صلى ، وتجرب ، وبكى . لكن إذا بحثنا عن واحد لكي يزيل متاعبنا، ويهدئ روعنا ، ويطمئن أفئدتنا، لا نجد غيره .

إنه يدخل إلى صميم حياتنا في القرن العشرين كما لو كان قد عاش معنا في شوارعنا إذن هو ليس ممن عاشوا في عصر من العصور الغابرة وحسب. ما أبدع إنسانيته ، وما أعلى سجاياه. مرثا تعنفه . ويوحنا الذي رآه يقيم الموتى، و يسكت العاصفة الثائرة ، و يتكلم مع موسى وإيليا فوق جبل التجلى، لا يتردد أن يدنو قريبا جدا منه غير هياب ولا وجل ، فيتخذ من صدره الحنون وسادة لينة يتكيء عليها وقت العشاء. و بطرس الذي تمنع في الأول أن يسمح له بغسل رجليه ، إذ شاهد تواضعه المحير للألباب يقول له: يا سيد إغسل رجلى و يدى ورأسى، آخرون يسألونه أسئلة محيرة وفي الوقت نفسه يقدمون له الإكرام والاحترام. و إذا ما ناداه يناديهم بأسمائهم مجردة لكي يزيل كل كلفة ورهبة ، وبذالك يؤكد لهم عمق قلبه المحب. كان في كل هذه المواقف " حلقه حلاوة و كله مشتهيات"

نعم ، إن كمال سجاياه لا يلمع و يختفي كالبرق ، بل هو نور في ذاته يرسل أشعته القوية بلا توقف في كل الجهات .وقداسته حادة دافقة تفيض عذوبة وإنسانيته تجتذب القلب إجتذاباً و تلهمه برسالة الحياة. لا نجد سياجاً بيننا وبينه. لم يكن كقطعة نادرة من الفن أحيطت بسور مانع ، بل كوردة زكية أو بستان على شاطى النهر . هذا هو يسوع يقبل خطاة ويأكل معهم ، كل الخطاة كيفما كانوا ومهما تباينت درجاتهم ، نيقوديموس المتدين المهذب ، ومريم المجدلية التي أخرج منها سبعة شياطين . فهو ينساب في حياة الخطاة إنسياب الماء الحي العذب في بركة راكدة لا يخشى عدوى جراثيمها ، بل يتدفق في عذوبته وسلطانه مطهرا إياهم جاعلا منهم موردا عذبا للمياه الصافية النقية.

في نهاية أحد إجتماعات **تشارلز فني** جاءه رجل تبدو عليه علائم الشقاء صافح فنى و طلب منه أن يزوره في منزله . نصح أحد المعارف " فنى" الا يذهب مع هذا الرجل لخطر يتهدده ، فأجابه : ولكنى و عدته بالزيارة . ذهب معه من شارع إلى شارع حتى وصلا إلى المكان ، ففتح الباب ودخلا. ثم أغلق الباب وأخرج مسدسا من جيبه وأشهره في وجه "فني" قائلا : « لقد قتلت أربعة رجال بهذا المسدس وستكون أنت الخامس إذا لم تنصحني نصيحة خاصة عن أشياء سأسألك عنها .

١ - قتلت أربعة في شقاوتى ، فهل من علاج ؟ فأجابه : دم يسوع المسيح ابنه يطهر من كل خطية.

٢ - اني ادير حانة تركت روادها من زبائني في بؤس وشقاء . أنزلت الخراب والدمار على عائلات كثيرة ، فمن نجا بثيابه لم ينج بصحته ، فهل من علاج؟ فأجابه : دم يسوع المسيح يطهر من كل خطية.

٣ - أترى ذلك الحاجز ؟ إن وراءه مكاناً صفت فيه الموائد الخضراء للمقامرين المغرورين ، فمن نجا ومعه قرشان بعد السكر سلبتها منه في القمار ، فهل من علاج ؟ أجابه : دم يسوع المسيح يطهر من كل خطية.

٤ - منذ ثلاث عشرة سنة تزوجت من امرأة فاضلة رزقت منها بإبنة عمرها إحدى عشرة سنة إسمها مرجريت. مجرد وقع أقدامى يسبب لها رعبا. خدعت زوجتي قبل الزواج وأوهمتها بأني وكيل إحدى الشركات ؛ فهل من علاج ؟ فأجابه : دم يسوع المسيح يطهر من كل خطية .

مد يده وصافح " فني" ووعده أن يكون في الاجتماع في الليلة التالية . ولكن في الصباح الباكر شوهد هذا الرجل يمشي مترنحاً كالسكران ، والدموع تنهمر من عينيه ، فماذا جرى له ؛ لقد حطم المرايا و المقاعد والزجاجات وموائد القمار وورق اللعب وكل ما له علاقة بحياته الأولى ، ورجع إلى المنزل إنساناً جديدا تناولته يد النعمة المخلصة. لا تعود إبنته أو زوجته تخاف منه فيما بعد ، لأن الله جعل منه رجلا آخر . فأخذ زوجته وابنته معه إلى الكنيسة فكان معجزة من معجزات النعمة.

ان المسيح يلمس أغوار حاجاتنا مهما كان نوعها . الجموع التي تسير كغنم بلا راع، أو أرملة نايين المفجوعة في وحيدها ، او غلام قائد المائة ، او مجنون كورة الجدريين ، أو الخمسة الألاف الجياع . حتى في غضبه على الكتبة والفريسيين كان يظهر العطف المقرون بالتبكيت لطائفة رسفت في قيود حديدية من البر الذاتي . هل تلمح عليه آثار التشفى ؟ هل نظر إلى مسكين فشمت في حالته وقال إنه يستحق ذلك ؟ كلا، شفي مرضاهم . ويا لها من نعمة سخية بالعطف! ولماذا لمس الأبرص المسكين ، أما كان في طائلة يده أن يشفيه بكلمة واحدة كما فعل مع ابن الشريف ؟ لمسه لأن ذلك البائس ظل سنين عديدة منبوذا من الأهل والأقارب .كل من يراه يرمقه بنظرة ملؤها الإحتقار ، لأنه كان طريد المجتمع . بل كل من كان يدنو منه يعتبر نجساً لمسه فكانت هذه اللمسة شفاء له ليعود إلى حظيرة الإنسانية .

كانت سيدة مسيحية تشتغل بين البرص أخلاقياً في مدينة لندن ، فوجدت فتاة من فتيات الشارع في حالة من البؤس في حجرة باردة مكشوفة . فكانت تخدم هذه الفتاة بيديها . غيرت ملائات فرشها، وأحضرت لها أدوية وأطعمة مغذية ، وأعدت لها مدفأة ترد عنها غائلة البرد القارس . وحولت حجرتها إلى مكان بهيج مُسِر بقدر ما أمكنها . ثم قالت لها: «هل أصلي معك ؟»، فردت عليها الفتاة : لا ، إنك تهتمين بي ليس حبا في راحتي بل طمعاً في حصولك على مكان في السماء ، . مرت أيام عديدة والمراة المسيحية تحتمل هذه الفتاة الساقطة بكل أناة وصبر . اخيرا قالت لمسيحية لها: « يا عزيزتي ، الآن أنت في حالة طيبة وسوف لا أحضر هنا فيما بعد. وحيث أنها آخر زيارة منى لك فاسمحي لي أن أقبلك قبلة الوداع ،. والشفتان الطاهرتان اللتان لم تعرفا إلا الصلوات والكلمات المقدسة ، إلتقتا بالشفتين النجستين اللتين دنستهما الأقسام والمداعبات الأثيمة - عندئذ إنكسر القلب القاسي . وهذه هي طريقة المسيح ، و يا له من إلَه وديع متضع !. أنا بينكم كالذي يخدم ، وابتدأ يغسل أرجل تلاميذه .. و الذي إذاشتم لم يكن يشتم عوضا . «كنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه . هل تتصور يسوع واقفا مرة ليطالب بحقوقه ؟. طريقة يسوع مع الخطاة هي المعجزة في

حلاوته . كم هو رفيق رقيق بقدر ما هو أمين على الحق لا يوارب مع المرائين . فنقوديموس وهو أديب مهذب ، لكنه مزهو متكبر بحكم مركزه إذ كان معلما في إسرائيل ، يبذل قصارى جهده لكي يحتفظ بهذا المقام فيغدو جباناً ، لذلك جاء إلى يسوع ليلا.. وقبل أن يبارح المكان كان " المعلم " ، قد كشف جهله المطبق في أبجدية الطريق إلى الملكوت . يعود إلى داره مذهولا لأن المسيح مسه في الصميم ، فأضحى يتأمل في نفسه منطبقاً عليه قول السيد : "أحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة" ومع هذا فإنه لم يسمع كلمة واحدة قاسية أو عبارة تجرح كرامته الشخصية .

بل في صمته كان عظيماً . إن ما كتب عنه في الأناجيل يغطي مائة يوم فقط من الأعمال التي عملها في حياته على الأرض ، وما بقي فقد سكت عنه الوحى، اى أن باقي الثلاث سنين وثلث التي قضاها في خدمته الجهارية لم يدون الوحي عنها شيئا، فمن الأربعين يوما التي صامها في البرية إلى الفصح الأول لم يذكر الكتاب إلا حوادث ستة أيام . ومن الفصح الأول إلى الفصح الثاني لم يذكر الا حوادث أسبوع. ومن الفصح الثاني إلى الثالث ذكر حوادث ثلاثين يوما. ومن الفصح الثالث إلى الصلب أربعين يوما. وكثير من الحوادث المدونة في الأناجيل أشياء تبدو غاية في البساطة ، مثل حديثه معالمرأة السامرية عند البئر ، وزيارة نيقوديوس ، وقصته عن الأطفال. لأن العبرة ليست بالأقوال الطنانة الرنانة ولا بالحوادث التي تدور في ارجاء العالم. لأن تعاليم المسيح وحياته يوضحان لنا سر ملكوت الله كحبة الخردل.

مشاهير العالم واصحاب الفكرة الأولى في الإختراعات ليسوا هم الذين طنطن بهم التاريخ لو سُئل الناس منذ أربعمائة سنة من هو أعظم رجل لما أجابوا بأنه الإمبراطور الفلاني او الملك الملاني ، بل هو ابن فحام بسيط في " ازلبين " بالمانيا . ذلك هو مارتن لوثر .

إقرأ (إش ٤٠ : ٣١): «اما منتظرو الرب يجددون قوة. يرفعون أجنحة كالنسور . يركضون ولا يتعبون. يمشون ولا يعيون»، في ترتيب العناية الإلهية : ليس التدرج من المشي للركض للتحليق. كما يظن الناس بل هو تدرج عكسى . لأن أعلى مراتب البلوغ في الحياة الروحية التقوية هي حياة إنتظار الرب والتفرس في جماله وهيكل قدسة ، وذلك بالمشي بدون تعب أو إعياء أو كلل أو ملل . هو السير في طريق الرب بأمانة" وسار أخنوخ مع الله - ولم يوجد لأن الله أخذه."

وحينما كان يخاطب تلك المرأة الصامتة البائسة بعد أن تفرق المشتكون عليها وانفرط عقد المتكبرين ببر ذواتهم يتعثرون في أذيال الخجل ، خاطبها قائلا : . يا إمرأة . وهي ذات الكلمة التي كان يخاطب بها أمه الطهور من فوق الصليب . إتبعه هناك إلى بئر يعقوب والشمس في رابعة النهار ، ثم انصت إلى الحديث الدائر بينه و بين المرأة السامرية. ياالله كيف يكشف عن أعمق حدائق الدين لها بصبر وطول أناة أو كيف يلمس دمل الخطية الخبيث المتغلغل في طيات حياتها ، يلمسه برفق لا تعوزه الأمانة . ومع هذا فلم يكن يخاطبها بنبرات تقل احتراما عن كلامه مع مريم أخت لعازر .

وعندما عجت عليه أهوال الموت على الصليب ، لم يترك لفظة واحدة يرسلها قلب بائس لم تنطفىء آخر شعاعة من إيمانه . حينها يعود القواد العظام من حروبهم الظافرة من البلاد البعيدة ، يعودون مشدود في مركباتهم وعجلات انتصارهم أشهر الجند وأعلام القواد . اما المسيح فقد اكتفى أن يرد للفردوس نفس اللص التائب .

موازين الكمال تمت في يسوع . لطفه لا يصاحبه عنف او ضعف، وشجاعته لا يداخلها تصلف أو قسوة . إتبعه في ليلة تسليمه لليهود ، ويوم محاكمته أمام بيلاطس وهيرودس . لم يفقد أعصابه ولا هدوءه ، بل تراه يطلب المغفرة من أجل معذبيه . يجلسون ليهزأوا به ، أما هو فكان صامتا لم يفتح فاه . أليس هو بحق حلقه حلاوة و كله مشتهيات ؟. "الذي حمل خطايانا في جسده على الخشبة. "

عظة منقولة وتم تنقيحها وتعديلها من كتاب أشهر المواعظ

أرجوا أن تكون هذه العظة سبب بركة وخلاص لك وللآخرين

صفوت زكي سمعان